خطبة صلاة الجمعة 24/ 12/ 2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(السماحة عند النبي ﷺ وكيف نتحلى بها)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة الثانية عشرة في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم:

السماحة عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى بها

أيها الإخوة:

سبق أن الخُلق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله، ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

السماحة: كلمةٌ تدلّ على السّلاسة والسّهولة، والسماحة بالتعريف: هي الملاينة مع الآخرين في المعاملات المختلفة. (وحين تجد المرء سهلًا ميسّرًا، يتنازل عن حظِّ نفسه أو جزء من حقه، ليحل مشكلة هو طرف فيها، أو ليطوي صفحة طال الحديث فيها، أو ليتألف قلبًا يدعوه، أو ليستطيب نفس أخيه، فذلكم هو الرجل السمح وتلك هي السماحة).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: 237].

فهذا العفو سماحة.

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **«حُوسِب رجلٌ ممّن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلّا أنّه كان يخالط النّاس، وكان مُوسِراً، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر. قال: قال الله عزّ وجلّ: نحن أحقّ بذلك منه، تجاوزوا عنه»** [مسلم].

فهذا التجاوز سماحة.

قال تعالى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ [النساء: 4].

وطيب أنفسهن هنا سماحة.

والتدقيق على الآخرين والتنقيب عن جزئيات أعمالهم وأحوالهم والاستقصاء في التعامل معهم والتشدد في محاسبتهم يضاد السماحة والسلاسة والسهولة.

وإذا كان حديث اليوم عن السماحة عند النبي صلى الله عليه وسلم وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة:

1-تروي كتب السير في حادثة صلح الحديبية أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليّاً ليكتب الكتاب، فأملى عليه «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيل بن عمرو سفير المشركين: أما الرحمن فو الله لا ندري ما هو؟ ولكن اكتب: "باسمك اللهم" فأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم عليّاً بذلك.

ثم أملى: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقال سهيل: لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك. ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال: «إني رسول الله وإن كذبتموني»، وأمر عليّاً أن يكتب: محمد بن عبد الله، ويمحو لفظ: رسول الله.

فأبى عليٌّ أن يمحو هذا اللفظ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أرنيها»، فأشار عليٌّ إليها فمحاها صلى الله عليه وسلم بيده.

ثم تمت كتابة الصحيفة، وكان الصلح فيما بعد فتحاً للمسلمين، ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: 1].

فهذه صورة من صور التنازل عن الأمور الشكلية التي لا تضر وهو نوع من أنواع السماحة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

2- وأخرج الإمام مسلم في حديث حجة النبي صلى الله عليه وسلم صورة عن سماحة النبي صلى الله عليه وسلم مع زوجه عائشة، حين قصدت الحج والعمرة، فأصابها الحيض، فحزنت لعدم تمكنها من أداء العمرة، وبكت لذلك وقالت: (يرجع الناس بحجة وعمرة، وأرجع بحجة؟!)، يقول جابر بن عبد الله: (وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلًا سهلًا، حتى إذا هَوِيَتْ الشيء تابعها عليه، فأرسلها مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر فأهلَّت بعمرة من التنعيم)، قال النووي: (سهلًا: أي سهل الخلق، كريم الشمائل، مُيَسَّرًا فِي الْخُلُقِ)

فهذه صورة من صور سماحة النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع أهله.

3- تروي كتب السير حادثة فتح مكة المعروفة وفيها: وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة، وقد تكاثر الناس في المسجد، وأوجس المشركون خيفة، وكادت تغص حلوقهم بقلوبهم من شدة الخوف، وصارت أبصارهم مشدودة إلى الرسول، ولكن المظلوم المنتصر أبى إلا أن يضرب مثلاً نادراً في العفو والسماحة، فقال: «يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم» ؟ قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم

قال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»!!.

إنها أوضح صور العفو عند المقدرة والسماحة والملاينة مع الغير، وترك التدقيق عليهم والاستقصاء والشدة في محاسبتهم والتعامل معهم.

والحاصل أن السماحة خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معروف بها، والمتوقع أن تكون السماحة وصفَك، وأن تكون معروفاً بها.

يعطي زوجته مصروف المنزل في كل أسبوع لتدبر شؤونه وتدير نفقاته، وتجتهد استطاعتها لتضع المال -على قلته- في مكانه المناسب، ولكنها تتفاجأ في نهاية الأسبوع بشدته في محاسبتها وتدقيقه وتنقيبه عن جزئيات بسيطة من النفقة تقتضي السماحة التجاوزَ عنها.

السماحة هي الملاينة مع الغير في المعاملات المختلفة، ويحرم على النار كل قريب هين سهل.

اشترى عثمان رضي الله عنه من رجل أرضاً، فأبطأ الرجل عليه في قبض ماله، فلقيه فقال له: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنّك غَبَنتني، فما ألقى من النّاس أحداً إلّا وهو يلومني.

قال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك ومالك، ثمّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: **«أدخل اللهُ عزّ وجلّ الجنّةَ رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً، وقاضياً ومُقتضياً»** [النسائي].

السماحة هي الملاينة مع الغير في المعاملات المختلفة، ويحرم على النار كل قريب هين سهل.

تخرج إلى السوق فتصادف من الباعة سُمحاء طُلقاء الوجوه هينين، وتصادف آخرين نكدين عبوسين شرسين متشددين، فتجد قلبك مائلاً للشراء من الأولين ونافراً من الآخرين، فلا تشتري منهم إلا مضطراً.

السماحة هي الملاينة مع الغير في المعاملات المختلفة، ويحرم على النار كل قريب هين سهل.

تُدعى للنظر في خصومة بين صديقين: أحدهما متسامح متساهل، يخبرك أنه راضٍ بما يحكم به الإنصاف ونازل على ما يقضي به العدل، وهو من الآن معتذرٌ عن كل سوءٍ بَدَرَ منه ومسامحٌ صديقه بكل ما أشاع عنه.

وتسمع من الثاني التشديد والوعيد، وأنه لا يرضى إلا أن تحكم له بما يريد، وأنه لن يتنازل عن مثقال ذرة، وأن هذه الجلسة هي جلسة الفراق بينه وبين صديقه القديم وخصمه الجديد.

السماحة هي الملاينة مع الغير في المعاملات المختلفة، ويحرم على النار كل قريب هين سهل.

يصاحب رجل صديقاً خمسين سنة ثم تبدر من هذا الصديق بادرة؛ فإذا بصاحبه يغسل يده منه ويهجره هجراً لا وصل بعده، ويحذف اسمه من قاموس حياته.

السماحة هي الملاينة مع الغير في المعاملات المختلفة، ويحرم على النار كل قريب هين سهل.

تحجز كرسياً لها في المسجد، فإذا جاءت من تجلس عليه أو تحتاجه صرخت فيها الصوت الذي ترتج له القاعة.

السماحة هي الملاينة مع الغير في المعاملات المختلفة، ويحرم على النار كل قريب هين سهل.

يتخاصم زوجان فتمضي الزوجة إلى أهلها وتحلف ويحلف ذووها أن زوجها لن يرى بعد اليوم ظفرها ولن يتنسم بعد الآن عبقها.

وعندما ينظر أهل المشورة والرأي في المسألة يجدونها أبسط من هذا القرار المتشدد بكثير.

السماحة هي الملاينة مع الغير في المعاملات المختلفة، ويحرم على النار كل قريب هين سهل.

أيها الإخوة:

أهم ما في الخطبة أن يعرف المرء كيف يتحلى بالسماحة، وهاكم **خمسة أمور تعين على ذلك:**

أولها: بادر الناسَ بالتحية والسلام، واستقبلهم بالبِشْرِ والابتسام.

ثانيها: غُضَّ بصرك عن زلات إخوانك، فكلنا خطاء واقبل معذرة من اعتذر إليك.

ثالثها: اختر الأيسر والأسهل في كل أمر تخيّر به مالم يكن إثماً.

رابعها: تنازل عن الأمور الفرعية التي لا تضرك.

خامسها الأخير: اطلب حقك برفق وإحسان، واقبل نُصح الناصحين لك.

أيها الإخوة:

أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه صلى الله عليه وسلم وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين